باحث في مجال اللسانيات والأدب يرى انه لو اكتفينا بالواقع لانتحرنا

محمد لخضر معقال: الحرب ليست ظاهرة طبيعية ولكن ثقافية

الجزائر ـ «القدس العربي»:

محمد لخضر معقال استاذ جامعي، كاتب وباحث يكتب باللغةالفرنسية في مجال اللسانيات والادب، معروف بتعدد مجالات بحوثه في اللغة والسوسيولوجيا والفكر والتاريخ والنقد الادبي، من اهم المتخصصين في اعمال الكاتب الجزائري المشهور «كاتب ياسين» وقدم دراسات عدة عن نصوصه، وربما مايميز اكثر الاستاذ لخضر معقال هو ثقافته الواسعة، حتى لا اقول الموسوعية، ودراساته المتنوعة في حقول مختلفة، وهو يشرف الآن على الكثير من الكتب الجماعية التي تتناول اعمال بعض الكتاب مثل البير كامو وسيصدر عما قريب عملا عن الروائي مولود معمري. في هذا الحوار نقاش حول الحرب وعلاقتها بالادب والكتابة، وقضايا اخرى اثارها الباحث لتنعش النقاش وتفتح مجالا لاعادة التفكير والنظر.

■ قبل كل شيء، ما هي الذكريات العالقة بذهنك عن الحرب؟

■ في قضية الحرب ذكريات شخصية، انا عشت زمن الحرب في الجزائر وانا صغير، عشتها في عين البيضاء بالشرق الجزائري وترعرعت في جو نضالي نوعا ما، وان كنت صغيرا، لان الحرب كانت حرب تحرير مكنتني من معرفة الصراع البشري بين مستعمر ومستعمر. ومن بين ذكريات الحرب التي عشتها عبر مظاهرات قمت بها في الخمسينيات بقسنطينة وتركت في ذهني وذاكرتي ابشع الصور منها شنق خمسة فدائيين في عين البيضاء 1956. وكانت لي من بين الذكريات اشياء ايجابية لان في الحرب هناك السلبي والايجابي، الوعي الذي ينبثق في ذلك الانسان حينما يحس بتعبئة وتوعية شعب كامل وتوحيد صفوف الناس وتبسيط المناوشات فيما بينهم، وكل ذلك لهدف واحد الا وهو رفع الصوت ضد القمع والاستعمار.. وفي نفس الوقت، كنت نوعا ما محظوظا لان للوالد مكتبة تفوت الثلاثة آلاف كتاب بمختلف اللغات (عربية، فرنسية...).. واغتنمت فرصة حظر التجول الذي كان مفروضا علينا آنذاك نهارا للقراءة، فقرأت الكثير من الكتب ايامها، من بينها كتاب اثر فيّ كثيرا هو رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ. ربما لم افهمه جيدا لكنني انتبهت لما في الرواية من وصف لسلبيات الاستعمار في بلد ما، وخصوصا المس بالشرف، عندما يحكي محفوظ قصة حميدة بنت زقاق المدق والتي اصبحت راقصة في حانة.

■ قاريد الآن ان اعرف ماذا تعني لك الحرب، ما هي الحرب، ما تعريفك للحرب او التعريف الذي يكون مناسبا للحرب؟

■ كثيرا ما كتب المتخصصون في هذا الموضوع واطنبوا في الشرح، وهم يعنون بالحرب مواصلة الصراع السياسي بطرق عنيفة، يبدو لي هذا الشرح مهما جدا لانه يربط بين الحرب والسياسة، وبالنسبة لي هناك ثلاثة مظاهر او صفات يمكن فهم الحرب من خلالها:

1ـ هناك مواجهات بين الدول والشعوب، وهو ما يدخل تحت اسم «الحرب» بالشكل الاشمل والاكبر.

2ـ هناك مواجهات بين فئات اجتماعية وقبلية داخل الوطن الواحد وتسمى حاليا بالحرب الاهلية.

3ـ وهناك نوع ثالث جديد في الحرب فتح مجال شرحه وصفاته متخصص في الاقتصاد الريفي جوزيفويد دي كاسترو، وهي الحرب الاقتصادية والغذائية التي قد تشنها قوى اقتصادية دولية على شعوب واوطان فقيرة، وكذلك تستعمل داخل الاوطان من طرف بعض الانظمة، وهي فكرة ظهرت في الخمسينيات ولم تكن معروفة من قبل.

■ الشيء المتفق عليه ربما انه كانت هناك دائما حروب وانها مست كل حقب التاريخ وجغرافيات العالم اي انها متأصلة في تشكل الانسان.. اليس كذلك؟

■ لا اعتبر الحرب ظاهرة طبيعية بل ظاهرة ثقافية، انا اشاطر الفلاسفة والفنانين الذين يقولون ان الانسان ليس وحشا ومفترسا في طبيعته، غير ان المجتمع والثقافة هي التي تؤثر فيه وتجعله تارة ملكا، وتارة اخرى وحشا. انا مقتنع بهذه الفكرة التي نجدها عند الفلاسفة الذين ينزعون الى الانسانية على وجه الخصوص.

ولذا اعتقد ان ممارسة الحرب هي عملية همجية وحشية، غير ان التجربة ادت الى وضع فرق حاسم بين الحرب كدفاع والحرب كهجوم، فالحرب كدفاع هي امر مشروع وهو ما حدث مع الجزائر ضد المستعمر. اما الحرب كهجوم فهي معروفة كذلك

في التاريخ، اي كل ما يركز على الفتوحات والغارات الاستعمارية.

على ذكر عبارة «فتوحات» يقودنا ربما هذا الى مسألة المقدس في الحرب بالمعنى الديني، هناك من يقول ان ثورة التحرير الجزائرية كانت دينية، منطلقها «الله اكبر».

انا اختلف مع هذه الفكرة، وعندما اندلعت الثورة التحريرية لم تندلع بشعار «الله اكبر»، ان هذا الشعار استعمل ابان المواجهة مع العدو، لقد كان اندلاع حرب التحرير نتاج برنامج سياسي هو تحرير الوطن وتأسيس الدولة الجزائرية، ولكن عندما خاضت هذه الفئة حربها خاضتها بثقافتها الدينية، فاغلب الثوار كانوا من الريف والطبقات الفقيرة المشبعة بالدين.

■ ولكن الحروب المقدسة او التي تقوم على الدين موجودة؟

■ من منظوري الخاص، وقد يكون هناك آراء اخرى احترمها طبعا، لا يجب ان نضفي القداسة على الحروب التي تأتي من الخارج والتي تريد ان تفرض نفسها بقوة السلاح والعنف. ان نشر اي دين بالقوة لا اعتبره مقدسا تماما. لنأخذ الحروب الصليبية مثلا والتي اخذت طابعا مقدسا ولكن الباحثين والمؤرخين يعرفون ان الهدف لم يكن كذلك وانما فتح ممرات اقتصادية تجاه المشرق والمشرق الاقصى، وعندما ندرس بجد ونزاهة تلك الحروب نجد انه كانت هناك تحالفات لا تخضع للمنطق الديني بين فئات مسلمة ومسيحية.

كما ان الهدف الثاني والاساسي بالنسبة لملوك الغرب آنذاك كان كسر وتحطيم الامبراطورية البيزنطية، وقدمت نفسها كحرب صليبية لتعبئة شعوبها فقط، لقد قدم مشروع استعادة القدس من طرف مثقفين في القرون الوسطى لملوك الغرب.. مع انهم كانوا يدركون بان «تيتوس» امبراطور روما هو آخر من دمر القدس.

■ هل تتفق معي ان الادب رافق الحروب واحيانا صنعته الحروب؟

■ معروف في الشعر العربي قبل الاسلام وبعده الفخر والحماسة، كما نجد عند اليونان ادبا يمجد الحرب وفي نفس الوقت شعرا ومسرحا يندد بالحرب. هناك مسرحية لارسطوفان في القرن الرابع قبل الميلاد تندد بالحرب.. حيث رفضت نساء قلعة (سبارتا) المتخصصة في ممارسة الحروب وقررن التوقف عن ممارسة العلاقة الجنسية ما دام الرجال يمارسون الحرب.. بينما نجد في الالياذة والاوديسا تمجيد الحروب وممارستها..

هناك نماذج كثيرة في العصر الحديث تحدثت عن الحرب مثل «الحرب والسلم» لتولستوي او حتى في الادب الشفوي «مذكرات جيرونيمو» التي تحكي اهوال الحرب مع الغازي الابيض في الولايات المتحدة.. كما كان للحرب العالمية الاولى اثر على بعض الكتاب من بينهم موريس باراس الذي اثر بعدها كثيرا في البير كامو، حيث كتب عن المجازر التي وقعت في تلك الحرب، خاصة في روايته «الربوة الملهمة».

كذلك مسرحيات «بريشت» او رواية «الامل» لمالرو والتي ـ حسب ظني ـ تناولت الحرب بطريقة رومانطيقية كحرب جندت النخب التقدمية ضد الكيان الفاشي في اسبانيا، واعطى لذلك التجنيد بعدا عالميا، حيث انه يتكلم عن متطوعين جاؤوا من شتى انحاء العالم من بينهم محمد بلعايدي، وهو ضابط جزائري التحق بصفوف الجمهوريين الاسبان لمقاتلة الفاشيين.

■ في العالم العربي، وبسبب سياقات التاريخ، نشأت عدة انماط ادبية مرتبطة بالصراع مع اسرائيل والحرب معها، منذ نكبة، 48 مرورا بنكسة 67 وحرب 73. كيف عكس الادب العربي هذه الحروب او الصراعات؟

■ يبدو لي ان القضية المهمة في تناول الحرب ضمن الكتابة الروائية عند العرب هي ان تلك الكتابات التي تناولتها كثيرا ما مجدت الحرب، لانها كانت تنظر لها من زاوية مقاومة الاستعمار، وكنواة لتوحيد الصفوف العربية تجاه العدو الصهيوني خصوصا وهذا ما بين الاربعينيات والستينيات، لكن بعد نكسة 67 الامور بدأت تتغير، فهزيمة الناصرية كايديولوجيا سياسية وطنية ادت الى تساؤلات عديدة في هذا الموضوع وبدا الكتاب العرب عموما والمصريون بشكل خاص توظيف السياسة بطابع جديد لانه بعد تجربة الناصرية التي فشلت ومرحلة الانفتاح الساداتية تبين لهم ضرورة التحديق مجددا في قضية الامة العربية والتساؤل ان كانت واقعا او وهما. اما بعد نكسة 67 الكارثية فتراجع بذلك الادب المجد للحرب وبدأوا الكتابة عن مشكلاتهم الداخلية او ما يمكن تسميته بالعدو الداخلي.

■ هل ينطبق هذا فقط على مصر ام على كل المشرق العربي لان هناك كتابا عربا من فلسطين مثلا كتبوا عن الحرب مثل غسان كنفاني؟

■ بالنسبة لي غسان كنفاني كتب ادبا نضاليا اكثر منه ادب حرب وحتى بالنسبة للبنان، فان الامور بدأت تأخذ هذا الطابع فقط خلال السبعينيات او 75 بشكل دقيق انطلاقا من الحرب الاهلية التي فتحت الطريق لتدخل مباشر لاسرائيل والتي خلقت نوعين من الادب، ان صح التعبير، ادب الحرب وادب النضال. بالنسبة لي اعتقد ان مصر هي الوحيدة التي كانت تملك ادبا وطنيا بمعنى الكلمة، لانها بلد يملك تاريخا وثقافة وحضارة.

وكان يملك ايضا بنية تحتية ثقافية مهمة كدور النشر والمجلات... الخ، وهذا ما جعلها او حوّلها الى محور اساسي لهذا الادب.. كذلك لا يمكننا ان ننسى الانواع الادبية الاخرى وحتى الفنون، فما كتبه الشاعر احمد فؤاد نجم وغناه الشيخ امام كان ينم عن مقاومة للعدو الخارجي وايضا لنظام كامب ديفيد.

■ ننتقل الآن الى الجزائر التي عاشت فترة استعمارية وحربا تحررية.. هل كنا نملك ادب حرب في رأيك؟

■ منذ بداية الفترة الاستعمارية ظهر نوع من الكتابة عن الحرب مثله حمدان خوجة في كتابه «المرآة»، فهو شهادة موجهة للفرنسيين، انه كتاب عن الحرب ولكن بما انه كتب بالعربية فانه ايضا كان موجها للمشارقة وكان له طابع ادبي من حيث الاسلوب الذي كتب به.

■ هل يمكن اعتبار كاتب ياسين ممثلا لهذا الاتجاه؟

■ بدأ كاتب ياسين الكتابة في فترة الاربعينيات، حيث كتب في المجال الادبي النضالي شعرا، كما كتب عن الحرب في المسرح والنصوص النشرية القصيرة، كان كل ذلك ممهدا لعمله الضخم «نجمة».

العلاقة بين ادب النضال والحرب عند ياسين وطيدة ويستحيل التفريق بينهما، ان ياسين يعيد النظر في تاريخ الجزائر برمتها وهو يعتقد ان غياب وطن ودولة هو الذي جعل مقاومة المستعمر مشتتة، ومن هذا الباب فهو ادب حربي، لانه يصف التدمير الذي قام به المستعمر للقبائل شمالا وجنوبا.. اما النضالي فتجسد في كتاباته التي عبرت عن تحرك ايديولوجي وسياسي من خلال مرجعين اساسيين الامير عبد القادر، ثم نضال حزب الشعب الجزائري. والامر لا يقتصر فقط على كاتب ياسين، فهناك مولود معمري في الخمسينيات، حيث كتب مسرحية تعبر عن الصراع والحرب.. واستمر الامر بعد الاستقلال من خلال روايته «الافيون والعصا» التي كتبها عام 65، فأدب الحرب بقي مستمرا حتى مع اسماء جديدة مثل يامينة مشاكرة في «المغامرة المتفجرة» حتى ظهور جيل آخر مثل جاووت وميموني الذين تحدثوا عن مشاكل جديدة.

■ منذ التسعينيات عرفنا ما يمكن تسميته بالحرب الاهلية، هناك اختلافات في التسمية طبعا ولكن بشكل ما كان لها سمة الحرب، ما نوع الادب الذي انتجته؟

■ ازمة التسعينيات خلقت ثقافة جديدة عند الكاتب الجزائري، حيث ادرك ان الادب النضالي بمفهومه التقليدي قد ولى، وان المواجهة مع الاستعمار فترة انتهت وان المواجهة اصبحت داخل المجتمع الجزائري. لقد ظهرت اعمال روائية ذات طابع ممزوج بالشهادة مثل رواية ارزقي ملال «الآن يستطيعون المجيء» او على شكل مقالات مثل «فيس الحقد» لبوجدرة.. كما ان حضور الكاتبة المرأة بدا ملفتا للنظر ومميزا على مستوى الكم والكيف بالنسبة للسابق، كما تفجرت مواهب مهمة لقيت الاعتراف من الخارج كبوعلام صنصال، ياسمينة خضرا... الخ.

■ هل تحلم في يوم من الايام ان تتوقف الحروب؟

■ نعم، كحلم، ولكن الواقع شيء آخر، احلم بتوقف الحرب عندما تتوفر شروط ذلك مثل العدالة الاجتماعية وحتى الكونية، احترام البشر والحياة، واحترام الصراع.. اعتقد بانه لو اكتفينا بالواقع لانتحرنا..

التقاه: بشير مفتي

بيان الكتاب والصحافيين الجزائريين

ارفعوا ايديكم عن بيروت بيت الكتاب

■ بتاريخ يوم الاربعاء 9 آب (اغسطس) 2006، في الساعة العاشرة صباحا، اجتمع الكتاب والصحافيون والفنانون بالمكتبة الوطنية الجزائرية ـ الجزائر العاصمة ـ في تجمع ضم ازيد من خمسمئة مثقف، وفيه تداولوا المأساة الكارثية التي يعيشها كل من لبنان وفلسطين، وفي هذا التجمع عبروا ايضا عن تنديدهم بما تمارسه اسرائيل بدعم من الولايات المتحدة الامريكية واوروبا من تقتيل وتخريب وهمجية ضد لبنان بلد الكتاب والثقافة والحضارة، وعبروا عن مساندتهم للمقاومة الوطنية في لبنان وفلسطين.

وقد خلص التجمع الى التوصيات التالية:

1 ـ بعد الترحم على شهداء لبنان وفلسطين، اشادوا ببسالة المقاومة وطالبوا بدعمها.

2 ـ التحذير من تفشي ثقافة الخوف والاحباط لدى المواطن العربي وهو ما تسعى اليه الاجهزة الاعلامية الاسرائيلية وحلفاؤها.

3 ـ يطالب الكتاب والصحافيون الجزائريون الانظمة العربية التي ترتبط بعلاقات دبلوماسية او غيرها مع اسرائيل ان تتخذ مواقف حازمة.

4 ـ التنديد بالفتاوى التي تكسر وحدة الصف العربي والاسلامي، وتبث البلبلة في ايمان الوطن العربي والاسلامي، وتشوش عليه مواقفه السياسية الداعية للمقاومة الوطنية في لبنان وفلسطين.

5 ـ التنديد بالعدوان والاعتداء الذي تعرضت له قناة المنار واعلاميوها.

6 ـ التنبيه الى خطورة بعض القنوات العربية التي تروج لنوع من المغالطات والتشويش الاعلامي فتصبح الحرب لديها وكأنها فرجة او نزهة اعلامية.

7 ـ التنديد باختطاف اسرائيل رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني وبعض اعضاء الحكومة واعضاء البرلمان.

8 ـ اجمع الحضور على ضرورة ارسال وفد من الكتاب والصحافيين الى بيروت بيت الكتاب، لمساندة اخوانهم من الكتاب والصحافيين في هذا البلد المنكوب وللاطلاع على احوالهم، والوقوف الى جانبهم.

9 ـ الصحافيون والكتاب الجزائريون يؤكدون ضرورة تدعيم صف المثقف العربي في هذه المرحلة التاريخية العصيبة.

10 ـ اجمع الكتاب والصحافيون المجتمعون على منح الرئيس الفنزويلي هوغو شافيز وسام المواطنة الجزائرية والعربية، وذلك لما ابداه من مواقف شجاعة ردا على الاعتداءات الهمجية الاسرائيلية على لبنان وذلك بقرار سحب سفيره من تل ابيب.

11 ـ يحرص الكتاب والصحافيون الجزائريون على ضرورة توسيع الرأسمال من اصدقائنا الكتاب والصحافيين في اوروبا وامريكا وتجنيدهم واطلاعهم على المأساة اللبنانية ـ الفلسطينية وعلى الحقيقة العدوانية لاسرائيل كدولة ارهابية لا تعيش الا بالحرب فيها ولها، ونشر ثقافة الكراهية في المنطقة بين ابناء الديانات السماوية والحضارات المختلفة، المتعاقبة والمتواجدة في الشرق الاوسط منذ قرون عديدة.

تجمع الكتاب والصحافيين الجزائريين

قـــص

طائرات وأغنيات... وبنات!!!

محمد صبيح*

[الى البنت التي حمت شرف الرجال]

■ حدثنا ابي العسكري المتقاعد «رحمه الله» واسكنه فسيح جنانه قبل سنين خلت وهو يستمع دون اكتراث لنشرة الأخبار تهطل علينا في ذاك المساء البعيد..

حدثنا عن هزائمنا العتيدة واذكر شد قبضته على السكين وهي تغوص عميقا في خاصرة البطيخة الحزيرانية واكمل «لم تكن حربا.. كانت فضيحة!! لم تستغرق عملية فض الأمة اكثر من بضع ساعات وكنا على رأي اشقائنا في الشام «عضة كوسا».

قلت: أوَ من جبن وخور نحن يومئذ يا ابتي؟ قال: لا ولكنها الطائرات.. وما ادراك ما الطائرات وغرقنا في بحيرة اسماء طيور الفولاذ وامتلأ الجوف الطيني علينا بغبار الميراج وقصف الفانتوم ورأيت فأرا بملامحي ليلتها يهرب مذعورا تحت هدير الهوكر هنتر!!!

وهكذا تعلمت نشيد الطائرات الذي صرت اصحو وانام عليه طوال العقدين المنصرمين من القرن الماضي وتحديدا بعد ان ادمنت مبكرا «وجع الرأس ووجع القلب واثخنتني حقن الثورة والأدب الواقعي وكعك الشاي مع الفوهات والكوفيات واناشيد الزاحفين غدا على قمم الجليل وكثبان النقب».. والى لحظة كدت اظنني قد اسقطت وحش الفولاذ المجنح من هواجسي واورديته ارضا في نزال اسطوري حمل فيه جالوت «كلاشن اخمص حديدي» وبعيدا عن حجم ساعات التحليق وجهنمية التكنولوجيا .. كانت طائرة داوود الموسومة بالـ «اف 16» تأكلها المارشات العسكرية والملصقات ..

«ولا طيارة تهدي ولادبابة تعدي»

وهكذا شد ازره الفتى واتقد

غادر عقدة النقص الجوية

صوب فولاذ قلبه نحو الفولاذ

اسقط طائرة ضجت نساء المخيم بالزغاريد

جاء من صلب الهزيمة من يحمي البلد

والله ولد.

لاحقا وفي احد بيوت المثقفين الثوريين في «مخيم الزرقاء» اهداني رفيق مولع بادب المقاومة مجموعة شعرية للشاعر الزرقاوي سميح القاسم .. اعاد تثقيب البطين الأيسر لخلايا العقدة اياها وانا اقرأ واعيد واقرأ واعيد قصيدته الملعونة عن «التعاويذ المضادة للطائرات».

وسرت في ديالكتيك الوعي الذي سبقته المادة حينذاك قشعريرة من سقطت على ام رأسه قذيفة نابالم فتعثر في الدرك الأسفل من نار جهنم واحترق!

وكان أن عدت الى كوابيس الطائرات اياما ثم انتشيت وانا احدث امي «الفتحاوية» عن عملية دير ياسين واكمل مزهوا لها عن عما فعلت بهم دلال واخوتها ورفعت المذياع على اخره وهو يهدر «سأرى لحظة الانتصار سأراها بعيني رفيقي» .. تنهدت ورسمت لوحة «الغرنيكا» على وجه فلسطينيتها .. ولكن ماذا سيفعلون الآن في وجه الطائرات !!

طائرات .. طائرات

عاد القول الى ايام الـ «محمود الدرويش اخيرا» يا امي

دمرني الصناجة الكنعاني الليلة

اي خمر واي زبيب واي تعاويذ تسند ظهر الفتى رامي الـ«م ط»

«تخطف العاشق من حضن الفراشة»

يا الهي وهل كان العاشق يا محمود ينام في حضن الفراشة؟

عاش التحالف القومي الأممي الـ...

طائرات .. طائرات

أين مات ابوك؟

تحت قصف الطائرة

واين مات اخوك؟

تحت قصف الطائرة

وحبيبتك؟

تحتها ايضا ..

او تعاند الطائرات بعد هذا؟

اذكر في الطفولة انشودة تعلمتها من احد الفرسان المغاوير كانت تقول

«سوسو عندو طيارة وانا عندي حصان

حكالي تع نتبادل لكني حيران»

ولا ادري تحت الوطء الجماعي لماذا تقفز كالجندب في ساحة خمري

وتعاريج هذياني تلك الأنشودة.. ولماذا الحيرة يا ابن الصحراء؟ فرس بطائرة.

وافلسف مشتعلا .. لحظة يشتد القصف:

اللعنة على الصحراء وكثبان الرمل وسيف الزير «ويدعون عنتر والرماح نواهل»

اللعنة على كل ثقافات القبيلة وروابط الدم والدمع المجفف «وسلسلة دليل المناضل» «ويوميات الصراع الطبقي في البرتغال».

اللعنة على جرائم التحالف مع ذباب «الميغ 17» وفيروسات الخندق المشترك.. بعد صيفين او اكثر ساجلس ذات عصر مع ابن عمتي المهزوم القادم من «جمهورية الفكهاني» و يحدث مكتئبا: كدنا.. نهزمهم لولا.. انا لا نملك اللعب طويلا على ارض الغير .. هكذا كانت قوانين المونديال وهذي لعبة الأمم الفيفا.. والخيانات والكثير من مركبات النقص امام الطائرات!

عموما بعد شهرين نسينا حزننا وخرجنا جميعا في زفة البطل العائد من بيروت ال خيمتنا الأخيرة

وللغرابة كنا نهتف في «العرس الذي لا ينتهي»

يا ويل اللي يعادينا ع البرية يلاقينا»

وصعد الهتاف الى أعالي السماء

وحدها تنانين الفولاذ المحملة بأطنان الجحيم كانت تهزأ بأصواتنا

وعلى ارتفاع ألف قدم مما تعدون كان «طيارو جيش الدفاع» الجبناء لا ينزلون لملاقتنا ولعلها فعلا كما غنى البلان قديما «ركب الطيارة غيه»

وهكذا عدت الى نشيد الطائرات

فوبيا من صلصال وابابيل ترمي قومي وبني امي

بحجارة من سجيل وللأمة رب يحميها

وأنا الى قوم سواكم لأميل

ومر صيف يمسك بتلابيب صيف الى أن عادت الهستيريا القديمة لتلافيف دماغي مجزرة ومهزلة...

وذابت فيالق المهيب الركن «كمدن الملح في مطويات المنيف» ولا عاصم اليوم إلا الصفيح المشطب

لا عاصم اليوم لأي عاصمة

فضونا بحرا وبرا وجوا

والعساكر فاجأها الحيض

المذهبي في اللحظة الحاسمة

«ويالقاع ترابك كافور

ع الساتر هلهل شاجور»

وان هللتي هللنالك

وجيوش العروبة قبالك

وان هللتي يا حبابة

واحدنا يقابل دبابة

وحنا للسيف حنا

للصيف !!

اعتدل النحوي

العسكري الخبير

وافاض علينا

بعلمه الغزير

وحدثنا عن سلاح الجو

الخطير وقال لنا فيما قال

اعلمو يا اشباه الرجال ولا

رجال ان فولاذها قد من زبر

الحديد وفيها من جحيم الموت

كل جديد لها عين صقر

وشواظ يفتت الصخر تزمجر

حين تغير وتقطع نياط القلوب

حيث تطير وتأتيك قبل ان يرتد

اليك طرفك ترميك باطنان

الحارق الخارق وتقصف عمرك

من علو شاهق يقودها شيطان

مارد يحرسها من عين كل

حاسد تحتسي النفط والكحول وتجهض حملها نارا على البيوت والحقول

الشقي من عاداها والسعيد من اتقاها.

اعيذكم من شر الحادثات واياكم والمغامرات

واللعب مع الطائرات حيث لا شفاعة تشفع

ولا ديبلوماسية تنفع ولا احد في المجتمع الدولي لصوتنا يسمع

واردف يقول وعمر السامعين يطول ماقاله الأطرش للسامعين في غابر الأيام والسنين «ماليش دخل يا حبيبي فيك»

«وفي البحر لو فتكم في البر فتوني»

.....

.....

وحدها فيروز كانت تعد مؤامرة رحبانية للقوم هذا الصيف

فما الذي اغوى البنت الجبلية ان تصعد كي تخطف قمر الشوق جنوبا

في هذا الظرف الدقيق ومن عز النوم

من اعطى الاذن ومن سمح وكيف بلا احم ولا دستور تقرر عنا وتغني

«طيري يا طيارة طيري يا ورق وخيطان

بدي ارجع بنت زغيرة ع سطح الجيران»

البنت الملعونة تحلم بالطائرة المجنونة والطائرة اتت

قاءت الطائرات علينا جميعا دمرت صيفنا السياحي

كسرت ايقاع الحفلة فوق الراقصات وبعثرت اطباق «الحمص بطحينة والبابا غنوج»

طائرات طائرات

تلاحق البنت

والبنت وحيده لا

اعمام ولا اخوال

البنت يا ذل الرجال

صرح ابي جهل تذمر في المؤتمر الصحافي وتمتم: من اوقف وأد البنات؟

احرجتنا البنت امام الطائرات

قال وزير الخارجية: من يخرجنا الآن من الورطة يا قوم؟ الم اقل لكم

ان هم البنات الى الممات؟

.....

.....

امس وبعد الموجز رأيت فيما يرى النائم فئران المستنقعات تطلق للريح ساقيها وتركع للطائرات

ورأيت كما ان طل علي وجه ابي

والمذياع يخشخش بين يديه وكان يتمتم مزهوا

«يا حيف ع الزلم في اثنين

وعشرين جيش وبلد

يا «بنت جبيل» راسك للسما

تسوي من الصبيان الـ «ف 16» ولد

تسوي من الصبيان الـ «ف 16» ولد!!!!

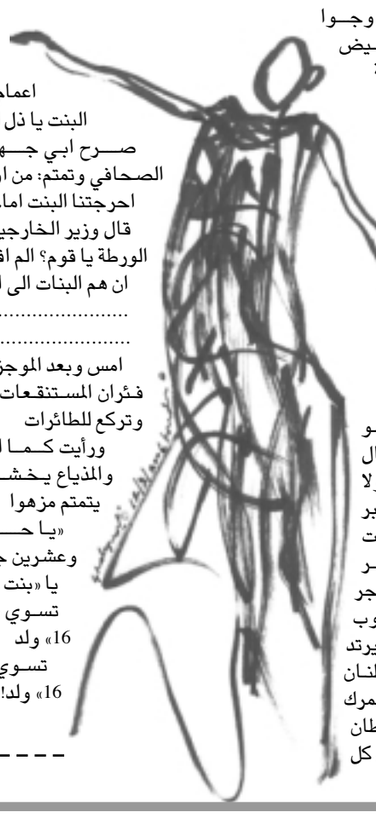

* كاتب من الاردن

رعد عبد القادر: ايحاء وغرابة جمالية في مجموعتين شعريتين

بيروت ـ من جورج جحا:

يتسم معظم قصائد الشاعر الراحل رعد عبد القادر في مجموعتيه اللتين صدرتا بعد وفاته.. بقماشة شعرية مميزة ذات ملامح خاصة بصاحبها وبأجواء تجعل عاديات الحياة تنبض بحيوية وتتحول الى عناصر ايحائية دافئة. بشكل عام.. المجموعتان اللتان جاءتا في كتاب واحد وبصورة خاصة مجموعة «صقر فوق راسه شمس».. شكلتا كما ورد في مقدمة الكتاب تحولا في تطور نتاج الشاعر العراقي الذي قضى عام 2003 في بغداد عن خمسين عاما من العمر. اما المجموعة الثانية فقد حملت عنوانا هو «عصر التسلية».

صدر الكتاب في 356 صفحة متوسطة القطع عن «دار المدى للثقافة والنشر» في دمشق. وقد جاء في مقدمة الكتاب التي لم تحمل اسم كاتبها «ومنذ مجموعته الشعرية الاولى «مرايا الاسئلة ـ 1979» بدا رعد عبد القادر يسعى الى الاشتغال على قصيدته بهدوء ميزه عن بقية اقرانه من بعض شعراء ما سمي جيل السبعينات الذين اتسمت تجاربهم بصخب واضح..».

وهذا الهدوء في تجربته «يتمثل في المستوى الجمالي والدلالي للقصيدة التي اشتغل على كتابتها وفي طبيعة افصاحه عن تجربته وفي وسط صخب بسجالات غطت في غالب الاحيان على صوت القصيدة وهي سمة اصبحت غير خافية في اية اعادة تقويم لتجربة شعراء السبعينات في العراق».

في قصائد النثر التي كتبها عبد القادر اجواء غرابة.. ضبابية حينا ونفاذة حينا اخر تنسج بما قد يصح وصفه مجازا بأنه «خيوط سحرية» او بأنها تشبه احلاما بغلالات شفافة. وهو دائما يلتقط بعض يوميات الحياة وعادياتها ويحولها الى تلك الاجواء والى حالات يسبح فيها الرمزي والمجازي في بحر من الدفء والايحاء.

في قصيدة «اجواء ذائبة» من مجموعة «صقر فوق راسه شمس» يقول رعد عبد القادر وكأنه يروي قصة «عامل الهواتف» حط ذات شتاء قرب كابينة غارقة بالماء» بعد دقائق اختلطت الاصوات بالماء وذابت» قطرات من الشمس تلالات على سطح اوراق» لشجرة عجوز» عصفور حرك ذيله محاولا التخلص» من كرة الاسلاك» قطرات من دمه على الارض اختلطت بذهب الغروب» اسند راسه الى باب الكابينة وغفا» سقطت من يده الاشياء..» سماعة الهاتف» مقص صغير» واوراق» نثرتها الريح ...» كانت الاصوات تصله في النوم» انتصبت قرب راسه شجرة وارفة الظلال» ومرت به امراة وضعت على ضريحه وردة» ومضت» الان الكابينة الغارقة بالدم» غارقة بالدم» الكابينة الغارقة بالدم».

ونقرا في قصيدة «تحولات» ما يشبه سريالية ذات طابع خاص. يقول «هذه الخرقة المرمية بماذا تفكر..» باشباحها المنتقاة بدقة» بحاجتها الى الظهور» باعلان براءتها من القتل المتعمد....» كيف وهي مرمية تاخذ تفكيرها الريح» حيث لا اقدام تنقل الكرات» الى هدفها المصمم» ولا رؤوس..».

وفي اجواء مماثلة نوعا ما يمتزج فيها الواقع بالغرابة يخلق من بعض يوميات القتل والموت في بعض عالمنا حالة انسانية ينتقل فيها الواقعي الى ما هو فوق الواقعي وتضيع الاحلام الكبيرة بين حطام او ركام احيانا... وتستمر الحياة. ففي «سيارة تاريخية» يقول «هيكل سيارة في العراء كسقيفة في صحراء» ضؤ القمر يسقط على لوحة المفاتيح» السيارة تنطلق» الرجال الملثمون الثلاثة اختفوا في الموعد» لم يستطيعوا تغيير العالم» الرجل الجالس في الخلف لم تخترقه الرصاصات» الريح في الخارج مازالت ريحا في الخارج» هيكل السقيفة ما زال شاخصا» ضؤ القمر ما زال يسقط» مراة السيارة ما زالت تظهر العراء المملوء» بالاصوات».

في قصيدة «جريمة قتل» يضفي ما يبدو سرياليا جوا لا من الغرابة فحسب بل من الشك والاتهام اللذين لا حدود لهما. وياتي ذلك كما في سائر القصائد في تصويرية مؤثرة. يقول «الايدي تتلامس قرب النافذة في المنزل المقابل» بالفة» انهم يسحبون الجثة» ويوارونها في الحديقة» في الصباح خرج الرجل الاعمى» مادا يده الى امام» انه يتجه الى النهر» كانت الابتسامة تخفي» جريمته».

وفي مجالات اخرى تتحول هذه الغرابة فلا تعود تثير الشك والاتهام.. بل تصبح اقرب الى عالم احلام طفولية ناعمة.

من ذلك قصيدة «سرير الاحلام» حيث يقول «الاحلام الوردية في سرير الرجل النائم» لم تظهر في مراة الغرفة المغلقة» بورق الجدران» كانت النجوم في الورق ترسل بضوئها في المراة» قنينة الغاز كانت ترسل بضوئها في المراة» قنينة الغاز كانت ترسل بضبابها» الرجل لم يعد يتنفس» والاحلام نزلت من السرير الى الارض» وفتحت النوافذ ونظفت الغرفة» ووضعت وردة في فوهة قنينة الغاز» وانسلت بعيدا يدا بيد مع الرجل» النائم في السرير» والنجوم ما زالت تسطع في ورق الجدران». (رويترز)